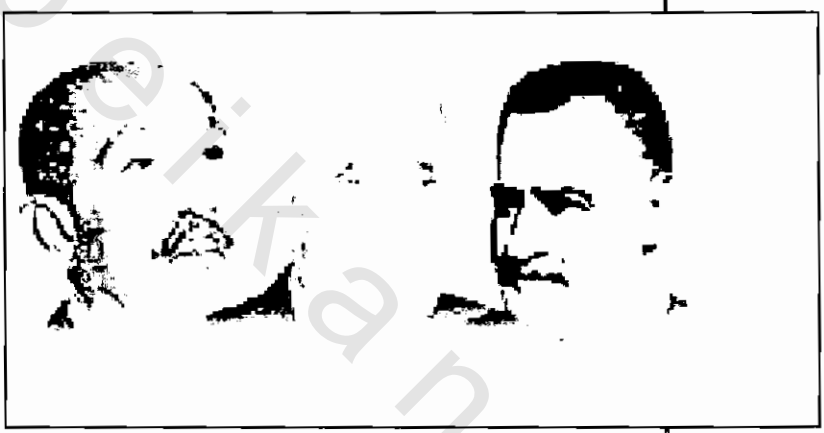

قهوة «هيكل» المسمومة

وخمس شهادات مختلفة حول الوفاة

obeikandl.com

obeikandl.com

[حتى صدور هذا الكتاب ، صدر عن الأستاذ / محمد حسين هيكل خمس شهادات حول وفاة الرئيس جمال عبد الناصر] .

كانت الأولي في يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٧٠ يعني في اليوم التالي للوفاة نشرتها جريدة الأهرام التي يرأس تحريرها في هذا الوقت إلي جوار مهمته الحكومية كوزير للإعلام ، وقد صدرت الأهرام صفحتها الأولي ـ مصل جميع صحف الجمهورية والعالم العربي وأغلب صحف العالم ـ نبأ الوفاة . كان مانشيت الأهرام .

« عبد الناصر في رحاب الله ».

[أما الرواية الثانية فقد كانت في ١٦ أكتوبر ١٩٧٠ وحملت عنوان « بصراحة .. ٢٨ سبتمبر .. الأربع والعشرون ساعة الأخيرة » أي بعد الوفاة بحوالي ١٨ يوماً فقط .. كان قد تم فيها استتباب الأمر للرئيس السادات بتولي مهام الحكم] .

[ثم بعد خمسة أعوام كاملة وفي يناير ١٩٧٥ جاءت الرواية الثالثة في كتاب يحمل عنوان « بصراحة عن عبد الناصر » للكاتب الصحفي فؤاد مطر نشرته دار القضايا ـ بيروت] .

[ومرت السنون وأمر الوفاة أوقل أسرارها لم تكشف بعد ولم يستقر الرأيْ العام حولها وظلت مناسبة شعبية للحديث وخاصة في سبتمبر من كل عام .. حتى جاء عام ١٩٨٨ وفي إطار حوار صحفي نشرته مجلة أكتوبر بقلم رئيس تحريرها في ذاك الوقت الكاتب الصحفي صلاح منتصر مع الأستاذ هيكل في الأعداد رقم ٦٠٨] .

[ثم تجدد اللغط بعنف في رواية خامسة فجرها الأستاذ هيكل ببرنامجه التليفزيوني علي قناة الجزيرة « تجربة حياة » في سبتمبر ٢٠١٠ ألقي بها ظلالاً من الشك حول وفاة عبد الناصر مسموماً . وكان للرئيس السادات دور في ذلك] .

[والمتأمل في الروايات الأربع الأولي المتشابهة والتي يروي فيها هيكل تفاصيل

يوم الوفاة يجد فيها الكثير من المتناقضات لعل أبرزها أنه كان حاضر ساعة الوفاة .. مع أن كل الوقائع والروايات لكل شهود العيان لا تذكر ذلك من قريب أو بعيد وعلي رأس كل هؤلاء الدكتور الصاوي حبيب الطبيب الخاص لعبد الناصر و'لذي ظل يرافقه حتى النفس الأخير] .

[وإلي هذه الشهادات وتعليق الكاتب الصحفي جمال سليم علي ما بها من تناقض أثبته في كتاب مهم في هذا الشأن تحت عنوانه « شبهة جنائية في وفاة عبد الناصر » صدر في عام ١٩٨٩ عن دار الصاوي للنشر ـ ليس للدكتور الصاوي حبيب ـ علاقة من قريب أو بعيد بهذه الدار كما يوحي الاسم] .

■ الرواية الأولي

عبد الناصر في رحاب الله

« .. وقف الشعب المصري وأمته العربية والعالم كله أمس أمام فجيعة بغير حدود ، مفاجئة كأنها الصاعقة وذلك بانتقال الرئيس جمال عبد الناصر بطل هذه الأمة وقائدها ومعلمها إلي رحاب الله ، وكان ذلك إثر نوبه قلبية مفاجئة أحس بأعراضها وهو في مطار القاهرة الدولي يودع أمير الكويت الذي كان آخر من غادر القاهرة من الملوك والرؤساء العرب الذين شاركوا في اجتماع القاهرة الكبير لبحث أزمة الأردن .

وأحس الرئيس بألم في صدره وهو واقف بجوار طائرة أمير الكويت في انتظار تحركها ، ثم أحس بالعرق ينصبب منه بغزارة والتفت بجانبه وطلب أن تجئ سيارته إلي حيث يقف لأنه يشعر بتعب مفاجئ ولا يستطيع هو أن يسير إليها كما كان يفعل عادة .

ودخلت السيارة بسرعة إلي جوار الطائرة وركب عبد الناصر متوجهاً إلي بيته ودخل غرفته ولحق به طبيبه المقيم الدكتور الصاوي حبيب ، وبعد كشف أولي

وكانت الساعة الرابعة إلا ثلثاً وجد الدكتور الصاوي أن الأمر خطير فطلب استدعاء الدكتور منصور فايز الذي يشرف علي علاج الرئيس ، كما طلب الدكتور زكي الرملي والدكتور طه عبد العزيز ثم لحق بهم جميعاً الدكتور رفاعي محمد كامل ، وكان التشخيص الفوري أن هناك جلة شديدة أحدثت أزمة قلبية حادة وأن هناك عدم انتظام يثير الانزعاج في دقات القلب وبدأت الإسعافات السريعة بأجهزة الأوكسجين وأجهزة الصدمة الكهربائية وغيرها من أنواع العلاج .

وفي نفس الوقت كان بعض معاوني الرئيس وأصدقائه قد هرعوا إلي بيته وشبح الكارثة يخيم علي حجرة النوم التي رقد فيها جمال عبد الناصر والأطباء من حوله يصارعون الخطر .

وكانت السيدة قرينته تقف خارج حجرة نومه بأمر الأطباء وكانت دموعها تتدفق في صمت كما كان بقية أفراد أسرته من حولها ودموعهم في عيونهم والقلب يشد كل الوجوه والأعصاب .

وفي داخل غرفة النوم كانت كل دقيقة تحمل معها نذيراً مروعاً فقد كانت الحالة تتدهور باستمرار ووقف بجانب الفراش الفريق محمد فوزي والسيد شعراوي جمعه والسيد سامي شرف والسيد محمد أحمد ومحمد حسنين هيكل ثم ما لبث أن انضم إليهم السيد حسين الشافعي والسيد علي صبري ثم وصل نائب رئيس الجمهورية السيد أنور السادات .

وكان الموقف مذهلاً لا يكاد يصدق .

كان الأطباء عاكفين علي كل محاولة في طاقة الطب والعلم وكان الباقون في حجرة النوم واقفين في أركانها يرقبون الفراش الذي يرقد عليه حبيب مصر وبطلها ، كان بعضهم يبكي في صمت وكان بعضهم يصلي وكان بعضهم في ذهول مما يري . وبدأ الدكتور الصاوي يقوم بعملية تدليك للقلب ثم راح يضغط علي الصدر

عشرات المرات .. وفي الساعة السادسة والربع تماماً بدا أن الأمل ضاع وأن الروح فارقت الجثمان المسجي وكل أحداً لم يكن يريد أن يصدق أن ما يروه أمامهم يمكن أن يحدث .

كان ما يحدث أكثر هولاً من أن يصدق كأنه كابوس مخيف يمسك بقبضته كل العالم وكل البشر .

وفي الساعة السابعة بدأ الطب والعلم يدرك أنه لا فائدة أمام قضاء الله . وابتعد الأطباء عن الفراش ثم انفجر الدكتور منصور فايز باكياً وانفجر بعده كل الواقفين في غرفة النوم .

وأحست السيدة قرينة الرئيس بما يجري فاندفعت إلي غرفة النوم تمسك بيد رفيق عمرها وتقبلها وهي في حالة ذهول تمزق القلوب واندفعت السيدة / هدي عبد الناصر داخله ومعها شقيقتها مني ثم تبعهما خالد عبد الناصر وعبد الحكيم عبد الناصر ولم يكن عبد الحميد عبد الناصر موجوداً لأنه ضابط بالكلية البحرية وكان في عمله بالإسكندرية ودعي علي عجل بالطائرة ليجئ إلي القاهرة .

وأفسح كل الموجودين في الحجرة مكانهم وغادروها ليتركوا لأسرة البطل العظيم لحظات الوداع الأخير وكان كل شئ لا يزال وكأنه كابوس مخيف يمسك في قبضته بالدنيا كلها وبالبشر جميعاً .

وكان الذين خرجوا من غرفة النوم واقفين في غرفة المكتب الملاصقة لها ونشيج الوداع الأخير بين الأسرة ورجلها العظيم يصل آذانهم وكلهم مجهش في البكاء لا يتمالك نفسه أو يقدر علي الإمساك بأعصابه .

وكان لابد من تحرك لمواجهة الموقف ودعا السيد أنور السادات إلي اجتماع في صالون بيت الرئيس حضره السيد حسين الشافعي والسيد علي صبري والسيد شعراوي جمعه والفريق أول محمد فوزي والسيد سامي شرف ومحمد حسنين هيكل .

وكان حساب الكل أن خبر ما يقدمونه لقائدهم وبطلهم ومعلمهم أن يكلفوا عنصر الاستمرار من أجل مصر ومن أجل الأمة العربية وقد أعطاها البطل الذي دخل رحاب الله ، وتم الاتفاق علي عدة إجراءات .

- إعلان حالة الطوارئ في الجبهة ، مواجهة لأية طوارئ .
- دعوة اللجنة التنفيذية للإتحاد الاشتراكي العربي ومجلس الوزراء إلي جلسة عاجلة لإعلان النبأ المروع ، وبحث الإجراءات المترتبة عليه .
- نقل جثمان الرئيس إلي القصر الجمهوري بالقبة ، بإعتباره المقر الرسمي لرئيس الدولة .
- تحديد موعد الجنازة في الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس حتى تتاح الفرصة لأصدقاء الرئيس جمال عبد الناصر من ملوك ورؤساء الدول ، الذين يرغبون الاشتراك في وداعه الأخير .
- أن يكون مدفن البطل العظيم في المسجد الجديد في منشية البكري وهو مسجد أشرف الرئيس جمال عبد الناصر علي بنائه بنفسه من أموال التبرعات التي كانت تصل إليه ، ويطلب أصحابه توجيهها بمعرفته لخدمة الإسلام .

ودعي الأطباء الخمسة الذين حضروا الساعات الأخيرة إلي كتابة تقرير رسمي عن الوفاة ، لكي يعرض علي الاجتماع المشترك للجنة التنفيذية العليا ولمجلس الوزراء وجاءت السيدة قرينة الرئيس تطلب محمد حسنين هيكل ، وتمسك بيده ، ترفض أن تصدق ما حدث ، بينما خالد عبد الناصر وعبد الحكيم عبد الناصر وحاتم صادق يحاولون جميعاً قدر ما يستطيعون مساعدتها .

وكانت السيدة الجليلة في حزنها العميق تقول :

لا أريد شيئاً .. لم أرد في حياتي غيره ... لم يكن بالنسبة لي رئيس للجمهورية .. كان زوجي.وليس من أمل في الدنيا غير أن أدفن إلي جانبه .

وكان المشهد يمزق القلوب والأكباد والأعصاب .

وجاءت سيارة الإسعاف الخاصة برئاسة الجمهورية ورفع جثمان البطل العظيم من فوق فراشه وسجي علي النقالة الخاصة بها ، ثم حملها أصدقاؤه وهو عليها وهبطوا بها من السلم حتى أدخلوها سيارة الإسعاف .

وخرجت سيارة الإسعاف إلي القصر الجمهوري بالقبة وإلي العيادة الخاصة في القصر ، حيث تقرر أن يغسل الجثمان الطاهر ويصلي عليه في مسجد القصر الصغير ثم يبقي في نعشه حتى موعد الجنازة بعد اتخاذ الإجراءات الطبية اللازمة لحفظه حتى ذلك الوقت .

وبدأ أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء يتدفقون علي القصر ، وبعضهم لا يعرف لماذا دعيو ، وينهار مرة واحدة عندما يسمع النبأ الرهيب ، وكان هناك جمع من الوزراء في زيارة خاصة للجبهة ، ونقلتهم طائرة خاصة بسرعة وهم بعد بملابس الميدان لحضور الاجتماع .

وتحدث السيد أنور السادات ، فقال : إنه كان يتمني ألا يعيش هذا اليوم ، وأن ينعيه جمال عبد الناصر ولا يقوم هو بنعي عبد الناصر .

وأجهش الدكتور عزيز صدقي بالبكاء ، ونهض سيد مري من مائدة الاجتماع وترك القاعة ، يريد أن تنفجر دموعه خارجها ، وكان الدكتور محمود فوزي يبكي في سكون حزين .

ودعي الأطباء إلي تقديم تقريرهم ، ثم تم الاتفاق علي أن يتوجه السيد أنور السادات نائب رئيس الجمهورية ليذيع بنفسه بياناً عن الفاجعة ، وكانت الإذاعة والتليفزيون قد قطعا البرامج العادية ، إكتفاء بتلاوة القرآن الكريم ، وكانت تلك أول إشارة إلي العالم بأن هناك شيئاً مروعاً قد حدث .

ولم تكن هذه هي النوبة القلبية الأولي التي أصابت الرئيس جمال عبد الناصر

فلقد تعرض في سبتمبر من العام الماضي لنوبة قلبية وأتفق يومها ، حرصاً علي أشياء كثيرة ، أن يعلن عنها ، باعتبارها نوبة أنفلونزا ، وقضي الرئيس وقتها فين الفراشة ستة أسابيع وكانت نصيحة الأطباء له أن لا يجهد نفسه ، وأن يراعي ظروفه الصحية ، ولكن الرئيس بعد قيامه من الفراش وجد نفسه مشدوداً إلي دوامه العمل ، بحكم الظروف السياسية والعسكرية ، التي تحيط بالوطن .

وعندما كان الرئيس جمال عبد الناصر في زيارته الأخيرة للإتحاد السوفييتي ، عاده طبيب القلب المشكور الدكتور شازوف ، ويومها قال له الدكتور شازوف : إنه يتابع عمله ويعرف أنه كان أخيراً في ليبيا ، وفي السودان ، وأنه يعمل أكثر من أربعة عشر ساعة في اليوم و وأن هذا خطر عليه ، وأنه يحذر من استمرار هذا الوضع .

وقبل الرئيس جمال عبد الناصر وقتها ، بعد إلحاح طويل عليه ، أن يدخل مصحة بربيخاً لأسبوعين من العلاج المنظم علي أن يلتزم بمواعيد محددة للعمل بعد ذلك ولكن الرئيس عاد إلي القاهرة لاجتماعات متصلة ولعمل لا ينقطع .

وأخيراً وبعد إلحاح شديد عليه ورجاء كل الذين كانوا يعرفون الحقيقة ، قبل الرئيس جمال عبد الناصر أن يذهب في أجازة إلي مرسي مطروح ولكن في يوم وصوله إليها انفجرت أزمة الأردن والمقاومة الفلسطينية وطار الرئيس معمر القذافي إلي مرسي مطروح لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر ثم تطورت الأمور بما اضطر الرئيس في اليوم التالي إلي قطع أجازته والعودة إلي القاهرة بعد أن نشأت فكرة اجتماع الملوك والرؤساء العرب في القاهرة .

وكان الشق الكبير في هذا المؤتمر الحافل بعوامل التوتر كلها علي كاهل الرئيس جمال عبد الناصر وكان حزنه شديداً طول الوقت علي نزيف الدم المستمر في الأردن .

وحين لفت بعض الأصدقاء نظرة إلي الجهد العنيف الذي بذله قال بالحرف :

- إن هناك رجالاً وبناء وأطفالاً يموتون ، نحن في سباق مع الموت !

ولم يلتفت أحد إلي أن هناك إشارة أقدار في هذه العبارة .

ولمدة تسعة أيام كان عبد الناصر يوجه جهده وفكره وأعصابه في جو مشحون إلي هدف واحد هو [وقف النزيف في الأردن] و [إتاحة الفرصة للمقاومة الفلسطينية] حتى تم توقيع اتفاق القاهرة .

وغادر الرئيس جمال عبد الناصر فندق هيلتون في الساعة العاشرة من مساء أمس الأول بعد توقيع الاتفاق وهو يشعر بإرهاق شديد .

وقام بتوديع الرئيس معمر القذافي وظل حتى الفجر يتابع عمل اللجنة التي كانت قد سافرت إلي الأردن برئاسة البهي الأدغم ، لتوفير كل ضمانات العمل لها ابتداء من وضع اعتمادات مالية تحت أوامر اللجنة إلي الأمر بتوفير معدات الاتصال اللاسلكي لها مع القاهرة .

وفي الصباح الباكر كان عليه أن يودع عدداً من الملوك والرؤساء الذين سيغادرون القاهرة .

وفي الساعة الثانية عشر والنصف ظهراً اتصل الرئيس تليفونياً مع محمد حسنين هيكل يسأله عن آخر التطورات بعد اجتماع كان هيكل قد عقده مع ياسر عرفات وبقية زعماء المقاومة الفلسطينية .

وقال له الرئيس عبد الناصر في نهاية الحديث

- إني أشعر بتعب شديد ، ولا أحس أنني قادر علي الوقوف علي قدمي .

وقال له محمد حسنين هيكل

- إن الوقت قد حان لأجازة .

وضحك الرئيس وقال :

- سوف أضع قدمي في ماء ساخن به ملح ، وسوف أشعر براحة بعدها .

وقال له هيكل :

- إن الجهد كان كبيراً ، وما زال الرئيس في حاجة إلي أجازة .

ثم اقترح عليه أن يقضي بضعة أيام في الإسكندرية .

وقال الرئيس :

- بعد قليل سأذهب لوداع أمير الكويت وأعود بعدها لأنام .

وأستطرد : أريد أن أنام نوماً طويلاً ، لن أستطيع أن أستريح في الإسكندرية .. أريد يوماً أو يومين من النوم هنا ، وبعدها نفكر في الذهاب إلي الإسكندرية .

واستراح الرئيس بعض الوقت في بيته ، ثم غادره في الساعة الثانية والنصف إلي مطار القاهرة ، وشعر بما شعر به هناك ، وعندما عاد لم ينس أن يسأل السيدة قرينته ، وهو يدخل متعباً إلي غرفة النوم : -

- هل تغديت ؟

وقالت السيدة الجليلة .

- كنت في انتظارك ..

وقال لها وهو يدخل الغرفة :

لا أشعر أنني أستطيع أن أضع في فمي شيئاً .

وتبعته إلي غرفته ووقفت معه وهو يخلع ملابسه ويستلقي علي الفراش ، ثم يدق الجرس ويطلب الدكتور الصاوي طبيبه المقيم .

وخرجت هي من الغرفة ، وكان قضاء الله وقدره يدخل إليها في هذه اللحظات الحزينة ...] .

***

■ الرواية الثانية

في ١٦ أكتوبر ١٩٧٠

يقول فيها هيكل :

[وصلت إلي مكتبي بالأهرام في الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم [الاثنين الموافق ٢٨ سبتمبر] وحين دخلت كان أول ما قيل لي :

[إن الرئيس اتصل بنفسه وسأل عنك .. ولما عرف أنك لم تحضر بعد قال : إنه لا داعي لأن تطلبه ، لأنه خارج إلي المطار الآن . وسوف يتصل بك هو عند الظهر] .

ولم أذهب إلي وزارة الإرشاد كما أفعل عادة في الحادية عشرة صباحاً ، وإنما بقيت في الأهرام قريباً من التليفون الذي يطلبني عليه عادة .

كان تليفونه قبل الثامن والنصف أول اتصال أجراه ذلك اليوم .

ثم قام - كما علمت فيما بعد - إلي حمام الصباح ، ثم جلس إلي إفطار وأكل تفاحة واحدة من صندوق تفاح جاء به الوفد اللبناني إلي مؤتمر القاهرة ثم فنجان قهوة مع السيدة الجليلة قرينته .

وقالت له هي قبل أن ينزل إلي أول وداع رسمي ذلك اليوم في مطار القاهرة .

إن الأولاد سيكونون جميعاً علي الغداء اليوم .

وسألها عن أحفاده قائلاً :

و« هالة » و « جمال » .

وقالت هي إن [جمال] هنا منذ الصباح الباكر .. جاءت به [مني] وهي في طريقها إلي عملها ، وتركته في البيت لكي يراه جده في الصباح كما طلب قبل أن ينام ... وأما [هالة] فهي في الطريق الآن .

وقال لها إنه سوف يراهم جميعاً علي الغداء .

وخرج من البيت قبل الساعة التاسعة بدقيقتين .

وفي الساعة الواحدة دق جرس التليفون في مكتبي .. وجاءني صوته ، وأحسست به متعباً ومتعباً إلي أقصي حد .

وأعدت عليه حدث الأجازة وقال إنه سوف يستريح بعد وداع أمير الكويت وسألته عما يشعر به قال :

أجد نفسي غير قادر علي الوقوف .

وسألته : هل رأيت الطبيب ؟

وقال : كان عندي الدكتور الصاوي ، وأجري رسماً جديداً للقلب وقال لي إن كل شئ كما هو .

وقلت : وآلام الساق .. أما من دواء لها ؟

وقال : سوف أضع قدمي في ماء دافئ به ملح ، وأظن أن الألم سوف يتحسن هو طول الوقوف ففيما أعتقد !

وعدك ألح في حديث الأجازة وأقترح أن يذهب إلي الإسكندرية وقال :

لا أستطيع الذهاب متعباً بهذا الشكل .. سوف أنام هنا يوماً كاملاً .. وبعدها أفكر في الذهاب إلي الإسكندرية .

ثم تطرق الحديث إلي السياسة كالعادة ، وسألني عن رد الفعل في إسرائيل لاتفاق حكومة الأردن مع المقاومة .

وأجبته بملخص البرقيات التي وردت ذلك الصباح .

ثم قال : هل تعرف أن بيرجيس ـ يقصد دونالد بيرجيس القائم علي شئون الرعايا الأمريكيين في القاهرة ـ سوف يسافر إلي إيطاليا ، وهناك سوف يجتمع مع نيكسون : إنه اتصل بالخارجية أمس وسأل إذا كان هناك ما يستطيع أن ينقله إلي

نيكسون .

أريدك أن تطلبه الآن وأن تبلغه رسالة مني إلي نيكسون .

أطلب منه أن ينقل له أنني ما زلت أسعي إلي حل علي أساس قرار مجلس الأمن .. إن موقفي لم يتغير .

إن الضجة التي يثيرونها عن الصواريخ زادت عن حدودها وهي بلا منطق .

إذا كانت إسرائيل تنوي الانسحاب من كل الأراضي المحتلة فما هو خوفها من الصواريخ علي فرض أننا قمنا بتركيبها ؟

وإذا كانت إسرائيل لا تنوي الانسحاب إذن فإن الواجب يقتضينا إذا لم نكن قد ركبنا الصواريخ أن نبادر فعلاً إلي تركيبها ؟

قلت له : إنني سأطلب بيرجيس .

قال : أطلبه الآن .

ورفعت سماعة التليفون الآخر وطلبت إلي مكتبي إيصالي بدونالد بيرجيس ، وقلت له .

إن لدي رسالة كلفت بإبلاغها إليك لكي تنقلها إلي نيكسون .

وقال بيرجيس : متي تريدني أن أجئ ؟

قلت له : الساعة السابعة مساء .

وأقفلت التليفون معه ، والرئيس علي الخط الآخر يواصل الحديث ولا يخطر ببالي أنني سأؤجل موعدي مع [بيرجيس] لأن عبد الناصر سوف يكون قد رحل قبل الموعد المحدد .

ثم تشاء المقادير أن أسلم الرسالة إلي ريتشارد سون الذي رأس وقت العزاء في عبد الناصر ، وكان قد جاء ليتحدث معي ، وقلت له .

[ليس لدي ما أقوله لك غير الرسالة الآن لك !] .

وأستطرد الرئيس يقول: لا أظنهم سوف يفهمون شيئاً ، ومع ذلك فلابد أن يكون موقفنا واضحاً ولو أمام أنفسنا ، وليتصرفوا هم كما يشاءون .

ثم مضي الرئيس يقول : قد لا أتصل بك في المساء لأنني سوف أنام .

ووجدتني أقول له بطريقة تلقائية .

تصبح علي خير .

وقال ضاحكاً : [ليس بعد .. نحن ما زلنا الآن في عز النهار ؟] .

وكانت تلك آخر مرة أسمع فيها صوته .

واستراح قليلاً في غرفته ثم قام يرتدي ملابسه ، مستعداً للتوجه إلي المطار لمراسم الوداع الأخير مع أمير الكويت .

واتصل بالسيد سامي شرف يسأله عما إذا كان هناك جديد ؟

وقال له سامي شرف إنه ليس هناك جديد ، ولكنه يلح علي الرئيس في ضرورة أن يريح نفسه ؛ لأن الجهد الذي يبذله عنيف .

وقال الرئيس : [سوف أنام بعد أن أعود .. سوف أنام نوماً طويلاً] .

ثم استطرد : [وفي الغد نتكلم عن الأجازة] .

وخرج من غرفته متوجهاً إلي السلم ، وتردد لحظة أمام المصعد ، ثم ضغط علي الزر يطلبه ، وكانت أول مرة منذ تركيب المصعد في بيته يستعمله فيها للنزول .. كان دائماً يستعمله في الصعود ، وعند النزول كان يفضل السلم .

وفي وداع أمير الكويت ، أحس في الدقائق الأخيرة أنه متعب بأكثر مما يحتمل ، لكنه تماسك بجهد لا يصدق ، وقبل أمير الكويت وهو يتصبب عرقاً .. والدوار يعتريه .

وصعد أمير الكويت إلي طائرته والتفت الرئيس يطلب سيارته .. وكانت ذلك علي غير المعتاد ، فقد كانت العادة أن يذهب هو ماشياً إلي حيث تقف سيارته ، وأنه يحيي جماهير المودعين .

وجاءت السيارة ودخل إليها وهو يقول للسيد محمد أحمد :

أطلب الدكتور الصاوي يقابلني الآن في البيت .

واستقل المصعد من الدور الأول إلي الدور الثاني .. وكانت الأسرة كلها في انتظاره وأحسوا جميعاً أنه متعب ولكنه وقف وسطهم دقيقة يتحدث فيها مع حفيديه [هالة] و [جمال] ثم يتوجه بعد ذلك إلي غرفة نومه ، وتلحق به السيدة الجليلة قرينته ، تسأله متي يريد الغداء ، ويقول لها وهو يخلع ملابسه .

[لا أستطيع أن أضع شيئاً في فمي]

ويرتدي بيجامة بيضاء مخططة بخطوط زرقاء ويدخل إلي سريره ويجئ الدكتور الصاوي وتستأذن السيدة الجليلة قرينته في الخروج لأنها ـ كما عودها دائماً ـ لا تقف في الحجرة وهناك فيها غيره ، حتى ولو كان الطبيب .

لكن قلبها لا يطاوعها علي الخروج بغير سؤال لمحه الرئيس في عينيها قبل أن تنطق به .

وقال لها مطمئناً : لا تخافي ، أظنه نقصاً في السكر .

وقالت بسرعة : هل أجيئك بشئ ..... ؟

وقال الدكتور الصاوي : أي عصير ...

وذهبت هي تعصر كوب ليمون كوب برتقال .. بينما الدكتور الصاوي يشعر من أول لحظة أن هناك طارئاً خطيراً .. ويخرج من الغرفة ليتصل بالسيد محمد أحمد علي التليفون ، ويطلب منه استدعاء الدكتور منصور فايز ، والسيدة الجليلة قرينة

الرئيس تدخل إليهما حاملة كوب عصير برتقال وكوب عصير ليمون .

ويختار الرئيس كوب البرتقال ويشربه .. وتخرج هي من الغرفة ويبدأ الدكتور الصاوي محاولاته لوقف الطارئ الخطر .

كان تشخيصه علي الفور أن هناك جلطة في الشريان الأمامي للقلب .. ولما كانت الجلطة السابقة في سبتمبر من العام الماضي قد أثرت في الشريان الخلفي .. إذن فإن الموقف دقيق وحرج .

ويصل الدكتور منصور فايز ، وعند وصوله ، تحس السيدة الجليلة قرينة الرئيس أن هناك شيئاً غير عادي .

كانت طول الوقت واقفه تنتظر في قاعة الجلوس التي تجتمع فيها الأسرة وهي علي مدخل البهو المؤدي إلي غرفة مكتب الرئيس ثم غرفة نومه في الدور الثاني من البيت .

وحين وجدت الدكتور منصور فايز أمامها أقتربت منه والقلب يشد ملامحها لتقول له :

[لا تؤاخذني يا دكتور .. لا أقصد إساءة .. ولكن مجيئك يقلقني .. أنت تجئ عندما يكون هناك شئ غير عادي] .

وقال لها الدكتور منصور فايز : [أرجوك أن تطمئني .. كل شئ بخير إن شاء الله] .

ودخل .. وبعد قليل لحق به الدكتور زكي الرملي .

كان التشخيص واحداً .. و كان الإسعافات التي بدأه الدكتور الصاوي قبل مجيئهما مستمرة ، وكان الرئيس منتبهاً إلي كل ما يجري .

وحوالي الساعة الخامسة بدأ أن الأمل يقوي .

كان النبض قد بدأ أن ينتظم وضربات القلب تعود إلي قرب ما هو طبيعي .

واستراح الأطباء والتقطوا أنفاسهم وهم بجواره وهو يراقبهم بابتسامة هادئة علي شفتيه ثم بدأ يتحدث معهم .

كانت الساعة الخامسة إلا خمس دقائق بالضبط .

وقال له الدكتور منصور فايز : [إن الرئيس في حاجة إلي أجازة طويلة] .

وقال الرئيس : [كنت أريد أن أذهب إلي الجبهة قبل الأجازة .. هل أستطيع أن أذهب وأري [أولادنا] هناك قبل أي أجازة] .

وقال الدكتور منصور فايز : [إن ذلك سوف يكون صعباً .. ويجب ألا يسبق الأجازة أي نشاط آخر] .

وقال الرئيس : [إن كل الوزراء اليوم في الجبهة .. لقد طلبت أن يذهبوا إلي هناك وأن يعيشوا يومين مع الضباط والجنود .. يجب أن يعرفوا ، ويعرف كل مسئول حقيقة ما يقوم به الجيش في الجبهة] .

وهم الرئيس في فراشه ومد يده إلي جهاز راديو بجانبه وفتحه ، يريد أن يسمع نشرة أخبار الساعة الخامسة من إذاعة القاهرة .

وبينما اللحن المميز لنشرة الأخبار من إذاعة القاهرة ينساب في الغرفة ويبدد بعض الشئ جوها المشحون بالطارئ الخطر أحس الدكتور منصور فايز أنه يريد أن يدخن سيجارة وتصور أن خروجه من الغرفة ليدخن سيجارته قد يكون فرصة يطمئن فيها السيدة الجليلة قرينة الرئيس علي صحته .

وخرج فعلاً إلي غرفة المكتب ثم إلي البهو المؤدي إلي غرفة الجلوس ووجدها أمامه ويداه تعصران وجهها من القلق ومشقة الانتظار .

وقال لها باسماً : [أنه بخير والحمد لله] .

وسألته بلفه : [صحيح ؟؟] .

وقال لها : [إنني كطبيب ، أسمح لك بأن تذهبي وتريه بنفسك] .

وقالت له : [أخشي إذا دخلت أن يشعر بقلقي ويتضايق .. إنه لم يتعود أن أدخل وهناك أطباء وإذا دخلت فقد يتصور أن هناك شيئاً غير عادي] . .

في غرفة النوم ، أن المشهد يتغير بسرعة لم تكن متوقعة .. أستمع الرئيس إلي مقدمة نشرة الأخبار ثم قال :

[لم أجد فيها الخبر الذي كنت أتوقع أن أسمعه ...] .

ولم يقل شيئاً عن الخبر الذي كان ينتظر سماعه] .

وتقدم منه الدكتور الصاوي وقال : [ألا تستريح سيادتك إنك فتحت جهاز الراديو ثم قفلته ولا داعي لأي مجهود الآن ؟] .

وعاد الرئيس يتمدد تماماً علي فراشه ويقول بالحرف .

[لا يا صاوي .. الحمد لله .. دلوقت أنا استريحت] .

ولم يفرغ الدكتور الصاوي من عبارة يقول فيها [الحمد لله يا فندم ..]

لم يفرغ ونظره مركز علي الرئيس حتى وجده يغمض عينيه ثم وجد يده تنزل من فوق صدره حيث كان وضعها وتستقر بجواره .

بعدها لم يشعر عبد الناصر بشئ .

لم يقل كلمة .

وكانت ملامح وجهه تعكس نوعاً غريباً من الراحة المضيئة .

وجري الدكتور الصاوي هالعاً ، ينادي الدكتور ، ينادي الدكتور منصور فايز ، ووقف كل الأطباء حول الفراش ، وبيدهم وعقولهم كل ما يستطيعه العلم .

ووصلت إلي البيت ، وصعدت السلم قفزاً وكانت السيدة الجليلة قرينة الرئيس أول ما لقيت وكانت إحدي يديها تضغط علي خدها واليد الأخري تمسك برأسها

وليس علي لسانها ، وقد ملكها الخوف والخطر إلا نداء واحد :

[جمال ... جمال .....] .

وكانت تكتم نداءها حتى لا ينفذ إلي حيث يرقد هو .

وعبرت غرفة مكتبه بسرعة إلي غرفة نومه وإلي فراشه وكان الأطباء ما زالوا من حوله وكان ممدداً علي الفراش وسطهم بالبيجامة البيضاء وخطوطها الزرقاء وفوجئت بما رأيت .

عندما دعيت إلي البيت لم يخطر ببالي ما قدر لي أن أراه .

أقصي ما خطر ببالي عندما دعيت إلي بيته [لأنه متعب] هو أن شيئاً مما ألم به في العام الماضي قد عاوده .

ولأول نظرة علي الفراش فإنني أحسست بما لا أستطيع اليوم ، ولا غداً أن أصفه من مشاعري .

كان هناك علي الفراش هدوء غريب صمت كامل .. كان هناك شئ واحد يلمع بشدة وهو دبلة الزواج في يده ، ينعكس عليها ضوء النور المدلي من السقف .

ولم أحاول أن أقترب من أي واحد من الأطباء فلم يكن من حق أحد أن يشغلهم والتفت حولي إلي بقية من في الغرفة : شعراوي جمعه ، وسامي شرف ، ومحمد أحمد .

وكانوا جميعاً مثلي معلقين بين السماء والأرض .

ووجدتني أدور في الغرفة وأبتهل .. أردد والدموع تنزل صامته : يا رب .. يارب .

ثم أرقب محاولات الطب الأخيرة وأناديه في علاه : [يارب غير ممكن .. يارب غير معقول] .

وتستمر محاولات التدليك الصناعي للقلب .

وتكرر تجربة الصدمة الكهربائية والجسد الطاهر المسجي يختلج ، ولكن الهدوء يعود بعد كل اختلاجه .. بلا حس ولا نبض .

وأسست أن الأطباء قد فقدوا الأمل .. وأنهم لا يحاولون بالعلم .. ولكن يحاولون ضد العلم .

وجاء علي صبري ووقف مبهوتاً أمام ما يجري .

وجاء أنور السادات ووقف أمام الفراش رافعاً وجه إلي السماء يتمتم بآيات من القرآن .

ودخل الفريق أول محمد فوزي والذهول يملأ وجهه ، وفي نفس اللحظة التي قال فيها أحد الأطباء :

[إن كل شئ قد انتهي ..]

وقال الفريق أول فوزي بحده ملتاعة : [لا .. لا يمكن .. واصلوا عملكم] .

وانفجر الدكتور منصور فايز باكياً .. وانفجر معه كل الأطباء باكين .

وانهمرت الدموع .. طوفان من الدموع .

ودخلت السيدة الجليلة قرينته إلي الغرفة المشجونة بالجلال والحزن .

لا يمكن لأحد أن يصف أحزانها المتوجهة كالجمر المشتعل . أمسكت يده تقبلها وتناديه .

وسمعت أحد الباكين يقول : الرئيس .. الرئيس .

وألتفتت تقول [لا تقول الرئيس .. قولوا إنه جمال عبد الناصر وكفي .. سيبقي بالنسبة لي وللناس كلهم جمال عبد الناصر] .

ثم انحنت عليه تقبل يده مرة أخري وهي تقول [لم يكن لي في الدنيا سواه .. ولا أريد في الدنيا غيره .. ولا أطلب شيئاً إلا أن أذهب إلي جواره حيث يكون] .

ثم التفتت إلي السيدة الجلية في حزنها الذي يفتت الصخر تسألني [قل لي أنت .. ردي علي .. ألن أسمع صورته بعد الآن ؟] .

وأقبل أحد الأطباء يغطي وجهه .

ونظرت إليه متوسلة بالدموع والنشيج : [أتركوه لي .. أنظر إليه .. أملأ عيني به] .

واستدار كل ما في الغرفة خارجين .. تاركين لها اللحظة الأخيرة وحدها معه .. وعندما جاءت السيارة التي تنقل جثمانه الطاهر إلي قصر القبة ، كانت في وداعه حتى الباب ، وكانت كلمتها المشوبة باللهب الحزين والسيارة تمضي به : [حتى بعد أن ما ت .. أخذوه مني .. لم يتركوه لي]

وانطلقت به السيارة في جوف الليل الحزين .

***

■ الرواية الثالثة

يقول هيكل في روايته الثالثة عن وفاة عبد الناصر :

صباح يوم ٢٨/ ٩/ ١٩٧٠ توجهت إلي مكتبي ونحو التاسعة صباحاً اتصل بي الرئيس عد الناصر هاتفياً علي مكتبي في الأهرام يسأل عن ردود الفعل حيال اتفاق القاهرة وكان مهتماً جداً بمعرفة رد فعل إسرائيل وكان محور المناقشة ما الذي يمكن أن تفعله إسرائيل حيال هذا الاتفاق ؟ !

وقبل أن يتصل بي كان عبد الناصر أتصل بالفريق صادق يسأل عن الموقف في عمان وعما إذا كان القتال توقف بين المقاومة والجيش الأردني .

بعد ذلك توجه إلي المطار ليودع الملك فيصل وبعض الملوك والرؤساء الذين شاركوا في مؤتمر القمة ونحو الثانية عشر والنصف اتصل بي ثانية هاتفياً وقال إنه عائد من المطار في غاية التعب وقال أيضاً عبارة تشاءمت منها وهي [فاضل الوداع

الأخير مع أمير الكويت] .

وقلت له : ما دمت متعباً إلي هذا الحد فلماذا لا يقوم أحد بالنيابة عنك بتوديع أمير الكويت ؟

أجاب : صحيح أن ألم قدمي شديد لكنني سأضعها في الماء والملح وهي وصفة قديمة يلجأ إليها الفلاح المصري في مثل هذه الحالات .

ورداً علي تحفظ مني تجاه هذه الوصفة أجابني بما معناه أنه يعرف أنني [بتاع تكنولوجيا] وأنه متأكد من أن الوصفات البلدية تفيد .

وقال لي إنه سيتوجه إلي المطار ليودع أمير الكويت وعندما سيعود لن يتصل بي لأنه يريد أن ينام نوماً طويلاً وذكر لي أنه قال لطبيبه الدكتور أحمد ثروت أن يستعد لإعطائه حبة تمكنه من النوم الطويل .

وقلت له : إذن نتكلم في اليوم التالي ، أي يوم ٢٩/ ٩/ ١٩٧٠ وعندما تستيقظ من النوم أرجو أن تتصل بي لأنني لا أريد أن أقطع عليك نومك .

وتوجه إلي المطار ليودع أمير الكويت وكان قبل ذلك طلب من زوجته وأولاده انتظاره لتناول طعام العداء معهم ذلك أنه طوال فترة انعقاد قمة [الهيلتون] لم يرهم لأنه كان مقيم في الفندق .

بعد ما عاد إلي منزله من توديع أمير الكويت توجه علي الفور إلي غرفة نومه وكشف عليه طبيبه الذي كان قد لحق به ، وشعر أنه في حاجة إلي أطباء آخرين فتم اتصال سريع بالأطباء في هذا لوقت طلب من زوجته كوباً من عصير البرتقال تناول نصف الكوب وكان الأطباء وصلوا .

وعندما سأله فؤاد مطر عن الخبر الذي كان يريد سماعه عندما فتح الراديو .

قال هيكل : في اعتقادي أن جمال عبد الناصر لم يكن أعطي خلال الفترة التي تبدأ من مغادرته المطار إلي بيته وتنتهي قبل ثوان من الساعة الخامسة أوامر أو أصدر

قرارات تبديل أو تعيين وكان ينتظر سماعها من الإذاعة الذي حدث هو أن عبد الناصر قبل ثوان من انفجار الشريان الذي جاء بعد الذبحة القلبية الثانية وكان قائلاً ، استدار وفتح الراديو الذي جانب سريره وسمع دقات الساعة الخامسة ثم سمع موسيقي العلامة المميزة لنشرة الأخبار ثم الموجز وكان صوته خافتاً عندما قال : مفيش حاجة .

وقال له طبيبه الدكتور منصور فايز : سيادة الرئيس .. مفيش داعي للمجهود .

وأجاب عبد الناصر : لا أنا كويس ـ الحمد لله .

وألقي رأسه علي المخدة وفي خلال ثوان أرخي يده كانت الساعة الخامسة والربع تماماً وحاول الأطباء الذين كانوا حوله إسعافه ، لكن حركة اليد كانت مؤشراً إلي أنه فارق الحياة .

هذه هي رواية هيكل الثالثة عن وفاة عبد الناصر ورغم أنها موجزة جداً فإنها أيضاً ـ تختلف عن الروايتين السابقتين في أنه هنا ـ علي الأقل ـ يؤكد أن جمال عبد الناصر عندما عاد من توديع أمير الكويت وكشف عليه طبيبه الخاص وشعر أنه بحاجة إلي أطباء آخرين .. إلخ .. ثم يأتي التناقض أنه استدار وفتح الراديو الذي إلي جانب سريره ! كيف يمكن التوفيق بين الحالتين : حالة المصاب بالجلطة القلبية الذي لا يتحرك بل لا يمكنه أن يتحرك .. وبين القول بأنه تحرك واستدار وفتح الراديو !!

***

■ الرواية الرابعة

من حوار هيكل مع صلاح منتصر في مجلة أكتوبر الخاص بيوم الوفاة

يقول هيكل :

- [لم يكن جمال عبد الناصر يعرف من ظروف مرضه أن حياته قصيرة ، كان

يقول : إن حجم عمله ومسئولياته سوف يأخذ من عمره لكن هذا شئ وأنه كان يعرف من ظروف مرضه أن حياته قصيرة شئ آخر ..

• [معرفة المرض تدفع الناس إلي الحرص علي حياتهم ، وأنت أمام رجل ظل إلي آخر يوم يعمل ١٨ ساعة في اليوم علي الأقل .

• [هل هذا أسلوب رجل يعرف حقيقة مرضه وأن عمره قصير ؟ نفسية أي مريض تدفعه إلي الحرص علي الحياة .. الحرص علي الحياة أهم إحساس لدي أي مريض .

• [أنت أمام رجل يبذل مجهوداً خارقاً للعادة .. ويتحمل مسئوليات من غير حدود لو أنه كان يعرف لخفف من عمله ، من أعبائه ومسئولياته .. لاستراح ، يعطي نفسه يوماً واحداً زائداً في الحياة .

• [أنت أمام رجل كان يعيش حياة الناس ، يشعر معهم ، مرة تغيرت وزارة لأن سعر الأرز ارتفع ٥ مليمات .. رجل لم يكن ينام أيام حرب الاستنزاف إلا بعد أن يطمئن إلي أن كل دورية مقاتلة في سيناء عادت بسلام .

• [الرجل عند ربه منذ ١٨ عاماً ولا يمكن أن يهتم أحد أن ينافقه .. العكس صحيح .. الهجوم عليه الآن له ثمن وله ثمن كبير ، وجوائز مغرية .. ومع ذلك أرجوك أن تقبلها مني ، أنتم تظلمون الشعب المصري قبل ان تظلموا رجلاً من أعظم الرجال في تاريخ هذا الشعب .

• صلاح منتصر : نحن نسمع اليوم الكثير مما يقال ويحيط بيوم الوفاة أو ظروفها بأسرار غامضة ؟! .

• هيكل : كان هناك مشرف علي صحة عبد الناصر هو الدكتور منصور فايز وهو واحد من أكبر وأشهر وأهم الأطباء في مصر .. هل سأله أحد عن مرض عبد الناصر ؟الرجل كتب كتاباً عن تجربته لا أحد في مصر يريد أن ينشره له حتى الآن

علي الأقل ولتفرض أن هناك شكوكاً حول وفاة عبد الناصر فهل هذه هي الطريقة التي يعالج بها أمر مهم بهذه الدرجة وإذا كان عندي شئ في هذا الموضوع أقول إذا كان فليس بهذا الأسلوب ولا في هذا المناخ ولا مع هؤلاء الناس ..] .

- حدثنا عن واقعة فتح الراديو ساعة نشر الأخبار ؟

- هيكل : بالنسبة لتلك الواقعة لم يكن هناك شئ في خزانة عبد الناصر يتعلق بهذا الأمر - أي وجود قرار بتعيين عبد اللطيف البغدادي نائباً لرئيس الجمهورية - ولم يكن هذا هو الخبر المنتظر سماعه يوم رحيل عبد الناصر ، حكاية أن عبد الناصر كان ينتظر سماع خبر مهم في الراديو قبل وفاته وما يقولونه عن هذا الخبر . فمن الغريب أن الذين يروون هذا الكلام ينسون أن واقعة الراديو أنا الذي كتبتها بالأهرام وأنا الذي كنت مصدرها لأنني حضرت هذا المشهد ولو أن كان هناك خبر بهذا الحجم ينتظره جمال عبد الناصر فأنا الذي كنت المسئول عن إذاعته باعتباري كنت وزيراً للإعلام في ذلك الوقت .

- وللحقيقة فإن ما كان يريد عبد الناصر أن يسمعه في ذلك اليوم وقد سألني فيه قبلها صباحاً وظهراً هو ردود الفعل الخارجية في العالم لمؤتمر القمة العربية بشأن المقاومة الفلسطينية في عمان وهو المؤتمر الذي كان معقوداً في القاهرة وكان حضور عبد الناصر ومتابعته له وتوديع الملوك والرؤساء الذين حضروه هو آخر نشاط قام به في حياته ، أما أن يحول هذا إلي أسطورة وكل إنسان يقول إنه كان يريد أن يقول كذا وكذا يقصد أن يقول كذا وإنسان منعه .. فهذا نوع من التعسف .... إلخ .

- الكاتب الصحفي الناصري المرحوم جمال سليم انتقد التباينات التي أوردها هيكل في رواياته الأربع .. في كتابه « شبهة جنائية في وفاة عبد الناصر »

- يقول جمال سليم : أرجو القارئ أن يكون يقظاً معي ليضع يده علي نقط الاختلاف بين الروايتين الأولي المنشورة في ١٩/ ٩/ ١٩٧٠ والرواية الثانية المنشورة

في ١٦/ ١٠/ ١٩٧٠ .

١) ففي الرواية الأولي : يحس الرئيس بأعراض النوبة القلبية وحددها بأنها : ألم في الصدر والعرق يتصبب بغزارة . وفي الرواية الثانية : أن الرئيس أحس في الدقائق الأخيرة من وداع أمير الكويت بأنه متعب أكثر مما يحتمل وقبل أمير الكويت وهو يتصبب عرقاً والدوار يعتريه .

- فالدوار في الرواية الثانية شئ جديد .

٢) دار حوار في الرواية الثانية بين الرئيس وحرمه والدكتور الصاوي حبيب ، وقال الرئيس أنه يشعر أنه بسبب نقص السكر وعرضت السيدة حرمه تقديم عصير ، فقال د . الصاوي بلهفة [أي عصير] وأنه في النهاية اختار عصير البرتقال .. بينما لم يرد أن ذكر لها الحوار في الرواية الأولي .

٣) تذكر الرواية الأولي أن الأطباء الذين حضروا ودخلوا غرفة عبد الناصر هم بترتيب وصولهم : الصاوي حبيب ، زكي الرملي ، منصور فايز ، طه عبد العزيز ، رفاعي كامل ، بينما تسقط الرواية الثانية الدكتور طه عبد العزيز والدكتور رفاعي كامل، والمعروف أن د . رفاعي كامل هو الذي طعن في تشخيص الأزمة ا لمرضية لعبد الناصر و د . طه عبد العزيز هو الطبيب الوحيد الذي لم يوقع علي شهادة وفاة عبد الناصر أو علي تقرير وفاته الذي أودع بمضابط اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء .

٤) في الرواية الأولي أن حالة عبد الناصر كانت تتدهور باستمرار إثر عودته من المطار وأن د . الصاوي كان يقوم بتدليك القلب ويضغط علي الصدر عشرات المرات ، بينما تقول الرواية الثانية أنه في حوالي الخامسة بدأ الأمل يقوي والنبض ينتظم وضربات القلب تعود إلي قرب ما هو طبيعي .

٥) في الرواية الثانية ترد لأول مرة قصة الراديو الذي فتحه الرئيس لسماع نشرة الأخبار ثم لم يجد الخبر الذي توقع أن يسمعه بينما لم يجئ ذكر شئ من ذلك في

الرواية الأولي !

٦) في الرواية الأولي : أن الأمل ضاع في إنقاذه الساعة السادسة والربع ، بينما تقرر الرواية الثانية أنه مات بعد سماع موجز نشرة الأخبار . والفرق بين التوقيتين أكثر من ساعة !

٧) في الرواية الأولي : أن السادات كان آخر من دخل حجرة الرئيس عبدالناصر .. وفي الرواية الثانية أن الفريق فوزي هو آخر من دخل غرفة عبد الناصر !

هذه الاختلافات السبعة بين الروايتين الأولي والثانية واللتين لا يفصلهما عن بعضهما سوي ١٥ يوماً تثير لدي أكثر الناس إيماناً وثقة .. الشك والريبة .

وعلي كل حال فلتقرأ الرواية الثالثة التي نشرها هيكل في الكتاب الذي كتبه فؤاد مطر .

فبعد خمس سنوات من الوفاة وبالتحديد في يناير سنة ١٩٧٥ صدر كتاب [بصراحة عن عبد الناصر] للكاتب فؤاد مطر ـ دار القضايا ـ بيروت .

وفي كل رواية من هذه الروايات كان هيكل يغير في الوقائع ويضيف ويعدل ويحذف إلي أن جاء عام ١٩٨٨ حيث أثيرت قضية وفاة عبد الناصر في مجلة [التضامن] التي تصدر بلندن في سلسلة من الحلقات خلال شهري يونيو ويوليو .. هنا قدم هيكل رواية أخري أو رواية رابعة في مجلسة أكتوبر العدد ٦٠٨ الصادر في ١٩٨٨/٦/٩ ولا يمكن لأي باحث أو كاتب أو محقق أن يتعرض لظروف وفاة عبد الناصر دون أن يأخذ هذه الروايات الأربع في الاعتبار لا لأن صاحبها [شاهد عيان] إنما لأن صاحبها رغم صداقته وقربه الشديد من جمال عبد الناصر لم يكن له وجود في القصة الحقيقية لوفاة جمال عبد الناصر .. فهو لم يدخل حجرة الرئيس جمال عبد الناصر إلا بعد أن لفظ أنفاسه الأخيرة بأكثر من ساعة .. إنما استقي رواية موت عبد الناصر من خلال هؤلاء الذين كانوا يريدون ـ أو من مصلحتهم ـ أن تظهر

هذه القصة بالشكل وبالطريقة وبالمضمون الذي قدمت به في الروايات الأربع :

وينبغي أن نقرأ ونتمعن الروايات الأربع :

١. الملاحظ في الرواية الرابعة أن هيكل يسقط كل أسماء الأطباء الذين أحاطوا بالرئيس جمال عبد الناصر يوم وفاته ولا يستبقي منهم إلا واحداً هو : د منصور فايز .

* لماذا أسقط هيكل الأطباء الآخرين .. ولماذا أبقي علي د . منصور فايز .. هل كان د . منصور فايز ألصق وأقرب لعبد الناصر من د . الصاوي حبيب مثلاً .. ؟

٢. لأول مرة يتكلم هيكل عن الشكوك التي تحيط بعلاج ووفاة عبد الناصر وهو هنا لا ينفيها إنما يقول إن هذه ليست الطريقة لمعالجة مثل هذه الشكوك !!

٣. بالنسبة لواقعة الراديو الذي فتحه عبد الناصر ليسمع خبراً لم يسمعه قبل وفاته يعترف هيكل بأمرين :

أ) بأنه مصر هذه الواقعة .

ب) وأنه حضر هذا المشهد .

فهل حضر هيكل حقاً هذا المشهد ، أي هل رأي جمال عبد الناصر وهو يمد يده ويفتح الراديو ويسمع الموجز ثم يغلقه. وبالتالي يصبح هيكل هو مصدر هذه الواقعة ؟ التاريخ وشهادات الشهود وكل من حضروا الوفاة أكدوا عكس ما يقول هيكل .

***

■ الرواية الخامسة

زوبعة فنجان القهوة

أربعون عاماً تمر علي وفاة عبد الناصر وكان الدكتور الصاوي حبيب قد توصل إلي ما رآه القول الأخير في وفاة عبد الناصر وبراءة الأطباء وكل من حول الرئيس من شائعات التآمر عليه سواء بالسم أو الإهمال .. وفجأة ودون مقدمات وبينما

الدكتور الصاوي في نشوة البراءة ورد الاعتبار لكل من رحلوا وصدورهم مشتعلة بالأحزان الظالمة .. يفجر هيكل زوبعة فنجان القهوة المسمومة ، فعادت الملابسات والظنون التي أحاطت برحيل عبد الناصر بقوة إلي المشهد الإعلامي والسياسي والشعبي بمصر والعالم العربي . وذلك بسرده لواقعة عن دور الرئيس السادات في إنهاء حياة عبد الناصر .. كانت كلمات هيكل تتعلق بإمكانية وضع السادات السم في فنجان قهوة صنعه بنفسه وقدم لعبد الناصر في فندق الهيلتون في آخر اجتماعات القادة العرب عندما كان الأخير في توتر شديد إثر مناقشة حادة مع الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات والتي استهدفت بلورة حل لوقف الاقتتال بين الجيش الأردني والمقاومة الفلسطينية وهي التي عرفت باسم مذبحة أيلول الأسود .

[وإن كان هيكل لم يؤكد أن ما ذكر يعد دليلاً قاطعاً علي إدانة السادات وأن هناك أسباباً إنسانية وأخلاقية وسياسية تحول دون ذلك إلا أن الكلام كان مستفزاً وتسأل الناس : لماذا التصريح بهذه الأقوال الخطيرة الآن وبعد أربعين عاماً من الرحيل ؟ إلا بعد ذلك خيانة لعبد الناصر الذي كان هيكل ظله الظليل ؟

كما استفز الأمر السيدة رقية السادات وقدمت بلاغاً بذلك إلي النائب العام تطالب بالتحقيق فيما اعتبرته اتهاماً صريحاً من قبل هيكل للسادات بقتل وتسميم عبد الناصر وهو ما رفضته بشدة ورأت أن كل ما ذكره هيكل الذي كان قريباً من الزعيم الراحل ومن الرئيس السادات في سنوات حكمه الأولي يلحق الأضرار الجسيمة بها وبأسرتها كلها ويصيب كل مشاعرها في مقتبل علي حد تصيب البلاغ .

[والسؤال : ما ذا أراد هيكل بهذه الكلمات التي تحتاج إلي كم هائل من الأدلة علي حد قوله هو ؟!!] .

وكان من جملة أصداء كلمات هيكل [الزوبعة] أن تصدي له الدكتور الصاوي حبيب بعدة مقالات نشرت في جريدة الأهرام تنفذ وتؤكد بطلان كلام هيكل

وتحدي صحة ما يقول ليس دفاعاً عن السادات وإنما دافعاً عن الحقيقة التي تؤكد براءة السم من موت عبد الناصر .

[هل أراد هيكل إفساد فرحة الدكتور الصاوي باكتشاف القول الأخير في موت عبد الناصر وسيذكر ذلك تفصيلاً في التحقيق الصحفي المرفق بهذا الشأن ؟!!]

[هل كان لهيكل وجه نظر ما .. في إحداث حالة بعد إلقاء حجراً كبيراً في بحيرة الحقبة الناصرية التي هو أحد أقطابها البارزين لتتحرك مياهها التي سكنت أو رآها ساكنة ؟؟!

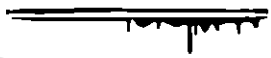

obeikandl.com